فجر الهدى والإيمان

صحابيات حول الرسول صلى الله عليه وسلم

صفيةُ بنتُ حُيي

أم المؤمنين رضي الله عنها

سليلةُ الأنبياء

إعداد : زهير مصطفى يازجي

مراجعة : يوسف عساني

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم العربي بحلب ولايجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه
أو طباعته ونسخه أو تسجيله إلا بإذن مكتوب من الناشر .

بسم الله الرحمن الرحيم

مَنْشُورَاتُ
دَارِ الْقَلَمِ الْعَرَبِيِّ بِحَلَبَ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

عنوان الدار

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي

شارع هدى الشعراوي

هاتف ٢١٣١٢٩ - ص.ب: ٧٨ - تلكس: ٣٣١٦٩٢ ريفكو

صفية بنت حيي

نسب صفية

أم المؤمنين ، صفية بنت حيي ، الأسيرة التقية الطاهرة ، والدها حيي بن أخطب بن شعبة بن ثعلبة .. من بني النضير ، وهو من ذرية هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام ، وأمها مرة بنت سموءل من بني قريظة .

وكانت أم المؤمنين ، صفية بنت حيي ، رضي الله عنها ، قد تزوجت قبل إسلامها سلام بن أبي حقيق ، ثم تزوجت بعده ، كِنانة بن أبي الحقيق ، صاحب حصن القموص ، أعزّ(١) حصن من حصون خيبر.

---

(١) أعزّ : أمنع .

غزوة خيبر

استعدَّ النبي ، صلى الله عليه وسلم لمحاربة اليهود المتمردين ، وخرج عليه الصلاة والسلام ، ومن معه من جنود وعتاد(١) سنة سبع للهجرة ، إلى خيبر معقل اليهود الأشرار ، فما إنْ أشرف على حصونها حتى قال ، صلى الله عليه وسلم :

– " الله أكبرُ ، خرِبَتْ خيبرُ ، إنّا إذا نزلنا بساحة قومٍ فسَاءَ صباح المنذَرين " .

وقبل أن يهاجم النبي ، صلى الله عليه وسلم اليهود في حصونهم قال :
– " اللهمَّ إنّا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير مافيها ، ونعوذ بك من شرِّها وشرِّ أهلها وشرِّ مافيها ، أقدموا بسم الله " .

وعندما أدرك أهل خيبر قدوم النبي ، صلى الله عليه وسلم قالوا :
– محمد والخميس(٢) معه ، فاهربوا .

---

(١) عتاد : شتى أنواع الأسلحة .

(٢) الخميس : الجيش .

وهكذا انتصر النبي ، صلى الله عليه وسلم بعد قتال مرير بين الإيمان والكفر ، وتمَّ فتح جميع حصون خيبر ، ومنها حصن القموص ، حصن بني أبي الحقيق ، وأصاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم منهم سبايا ، منهن صفيَّة بنت حيي بن أخطب وابنة عمٍّ لها .

وكانت صفية حينئذ لم تتجاوز السابعة عشرة من عمرها ، وكذلك وقع في الأسر زوج صفية كِنانة بن الربيع .

﴿ عقوبة كنانة ﴾

وجِيء بكنانة بن الربيع إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وكان عنده كنز بني النضير ، فسأله النبي ، صلى الله عليه وسلم عنه ، فأنكر كنانة أنه يعرف مكانه ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم:

– " أرأيت إن وجدناه عندك ، أأقتُلُكَ ؟ " .

فقال كنانة في صلفٍ(١) وغرور :

– نعم ، افعل بي ماشِئْتَ فإن الكنز ليس عندي .

---

(١) صلفٍ : عناد .

ولما اكتشف النبي ، صلى الله عليه وسلم أن الكنز مخبأ عنده ، دفعه إلى محمد بن مَسْلَمَة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة الذي قتله اليهود في معركة خيبر .

زواجها من النبي

وسِيقَتْ سبايا القموصِ إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، تتقدمهن صفية بنت حيي ، رضي الله عنها وابنة عمٍّ لها ، بصحبة بلال مؤذن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فمرَّ بهما بلال ، رضي الله عنه بساحة المعركة التي كانت مملوءة بقتلى اليهود ، فلما رأتهم ابنة عم صفية ، رضي الله عنها ، صاحت وضربت وجهها وحثت التراب على رأسها ، جزعا وحزنا على قتلى قبيلتها ، أمّا صفية رضي الله عنها ، فكانت هادئة صامتة ، لايكاد يُسمع لها صوتٌ أو بكاءٌ .

ووقفت صفية رضي الله عنها ، أمام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم هادئة ساكنة ، بينما كانت ابنة عمها لاتكف عن العويل والنُواح في وجه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فأدار وجهه وقال :

– " أعْزِبُوا(١) عنّي هذه الشيطانة " .

---

(١) أعْزِبُوا : أبعِدوا .

ثم اقترب النبي ، صلى الله عليه وسلم من صفية ، رضي الله عنها، وألقى عليها نظرة حنان وإشفاق ، وألقى عليها رداءه ، فعرف المسلمون أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قد اختارها واصطفاها زوجةً له .

ثم التفت إلى بلال ، رضي الله عنه وقال :

– " أَنزِعت منك الرحمة يابلال ، حين تمرُّ بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ "

وعرض النبي ، صلى الله عليه وسلم على صفية رضي الله عنها ، أن يعتقها(١) إن اختارت الله ورسوله ، فقالت :

– أختار الله ورسوله .

ثم قال النبي ، صلى الله عليه وسلم لها :

– " هل لك فيَّ ؟ " .

فقالت صفية بنت حيي ، رضي الله عنها :

– يارسول الله ، قد كنت أتمنى ذلك في الشرك ، فكيف إذا أمكنني الله منه في الإسلام ؟ " .

---

(١) يعتقها : يحررها .

وانتظر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى طَهُرت من الحيض فأعتقها وتزوجها ، وكان عتقُها صداقها(١) ، وحدث أن رأى صلى الله عليه وسلم ، في وجهها أثر خضرة قريبا من عينها ، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم :

– " ماهذا ياصفية ؟ " .

فقالت صفية ، رضي الله عنها :

– يارسول الله ، رأيت في المنام قمرا أقبل من يثرب ، حتى وقع في حجري ، فذكرت ذلك لزوجي كنانة ، فقال :

– تُحِبين أن تكوني تحت هذا الملك الذي يأتي من المدينة ؟ فضرب وجهي .

وعندما همَّ النبي ، صلى الله عليه وسلم أن يخرج من خيبر ، قُرِّبَ البعير إليه ، صلى الله عليه وسلم ، فوضع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم رِجْلَه لصفية لتضع قدمها على فخذه ، فأبت ووضعت رُكبتها على فخذه تقديرا له . وسترها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وحملها وراءه ، وجعل رداءه على ظهرها ووجهها ، وجعلها بمنزلة نسائه .

---

(١) صداقها : مهرها .

خوفها عليه

ولما اقترب النبي ، صلى الله عليه وسلم من أحد المنازل على بعد قليل من خيبر ، مالَ يريد أن يتزوج صفية رضي الله عنها ، فأبت عليه وامتنعت ، فحزن النبي ، صلى الله عليه وسلم لِما بَدَرَ منها .

وتجهز القوم عائدين إلى المدينة المنورة ، وأثناء سيرهم ، توقف النبي، صلى الله عليه وسلم بمنطقة " الصهباء " ، وظهر له أن صفية رضي الله عنها ، تتهيأ للعرس ، وبدت كأجمل مايكون النساء ، فأقبل النبي ، صلى الله عليه وسلم فقامت إليه ، وبنى(١) بها يومها ، وعندما سُئِلَت صفية رضي الله عنها عَمّا رأت من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قالت :

– إنه سُرَّ بي ، ولم ينم تلك الليلة ، ولم يزل يتحدث معي ، وقال لي ، صلى الله عليه وسلم :

– " ماحملكِ على الذي صنعتِ حين أردْتُ أن أنزِلَ المنزلَ الأولَ فأدْخُل بكِ ؟ " .

---

(١) بنى بها : تزوجها .

فقالت صفية ، رضي الله عنها :

– خشيت عليك قرْبَ اليهود .

وكانت صفية ، رضي الله عنها قد أسلمت فحسُنَ إسلامها ، حتى آثرت النبي ، صلى الله عليه وسلم على أهلها وأبيها ، فقد دخلت صفية ، رضي الله عنها على النبي ، صلى الله عليه وسلم فقال لها :

– " لم يزل أبوك من أشد اليهود لي عداوة ، حتى قتله الله " .

فقالت صفية ، رضي الله عنها :

– يارسول الله ، إن الله يقول في كتابه العزيز ﴿ ولاتزِرُ وازرَةٌ وِزْرَ أخرى ﴾(١) .

فقال لها النبي ، صلى الله عليه وسلم :

– " اختاري ، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي ، وإن اخترت اليهود ، فعسى أن أعتقك فتلحقي بأهلك " .

فقالت صفية ، رضي الله عنها :

---

(١) سورة الإسراء الآية /١٥/ .

- يارسول ا لله ، لقد هويْتُ الإسلام وصدَّقْتُ بك قبل أن تدعوني حيث انتقلت إليك ، ومالي في اليهودية أربٌ(١) ، ومالي فيها والد ولاولد ولاأخ ، فا لله ورسوله أحب إلي من أن أرجع إلى قومي .

وظل بعض الصحابة رضوان ا لله عليهم يخشون على رسول ا لله ، صلى ا لله عليه وسلم من صفية التي قُتِلَ أبوها وأخوها وزوجها في خيبر، وكانت حديثة عهد بالإسلام .

ولهذا فإن أبا أيوب الأنصاري(٢) رضي ا لله عنه ، كان خارج القُبة التي دخل إليها الرسول بصفية ، وسيفه بيده، دون أن يعلم النبي ، صلى ا لله عليه وسلم ، فلما كان الصباحُ خرج النبي ، صلى ا لله عليه وسلم مستطلعا وقد سمع صوتا ، فرأى أبا أيوب مكانه ، فسأله النبي ، صلى ا لله عليه وسلم وقال :

" مالك ياأبا أيوب ؟ " .

فقال أبو أيوب ، رضي ا لله عنه :

---

(١) أرب : غاية .

(٢) أبو أيوب الأنصاري : خالد بن زيد ، أحد أحبة النبي ، صلى ا لله عليه وسلم .

– يارسول الله ، لقد خِفْتُ عليك من هذه المرأة ، فقد كانت حديثة عهد بالإسلام ، فدعا له النبي ، صلى الله عليه وسلم وقال :

– " اللهم احفظ أبا أيوب ، كما بات يحفظني " .

غيرة نساء النبي منها

عندما تزوج النبي ، صلى الله عليه وسلم صفية ، رضي الله عنها ، أنزلها في بيت من بيوت الأنصار ، فسمع بها نساء الأنصار وبجمالها ، فجِئن ينظرن إليها ، وجاءت عائشة رضي الله عنها ، متنقبةً(١) حتى دخلت عليها ، فعرفها النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فلما خرجت خرج في إثرها ، فقال لها :

– " كيف رأيتها ياعائشة ؟ " .

فقالت عائشة أم المؤمنين ، رضي الله عنها :

– رأيتها يهودية .

فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم غاضبا :

– " لاتقولي هذا ياعائشة ، فإنها قد أسلمت فحسُنَ إسلامها " .

---

(١) متنقبة : واضعة خمارا كي لايعرفها أحد .

وتدرِك صفيةُ رضي الله عنها ، غيرة نسائه منها ، فقد بلغها عن عائشة رضي الله عنها ، وعن حفصة بنت عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما ، أنهما كانتا تعيِّرانها بأنها يهودية ، وبأنهما أكرم على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فهنَّ أزواجه وبنات عمه ، فقال لها النبي ، صلى الله عليه وسلم :

- " ألا قُلْتِ : وكيف تكونان خيرا مني ، وزوجي محمد ، وأبي هارونُ وعمي موسى " .

وعندما ألَمَّ الوجع الذي توفي به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، اجتمع إليه نساؤه ، فقالت صفية ، رضي الله عنها :
- أما والله يانبي الله لودِدْتُ أن الذي بك بي .

فجعَلَت نساء النبي ، يتغامزْنها ساخرات، وأبصرَهُنَّ النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : " مَضْمِضْنَ " .

فقُلْنَ : من أي شيء يارسول الله ؟ .
فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم :
" من تغامزكُنَّ بصاحبتكُنَّ ، والله إنها لصادقةٌ " .

وكان من عادة النبي ، صلى الله عليه وسلم أن يصطحب نساءه معه إلى الحجِّ ، فقد صحِبَهُنَّ مرةً ، وكانت فيهنَّ صفية رضي الله عنها، فلما كان ببعض الطريق ، بَرَكَ(١) بصفيةَ جملُها ، فبكت .

وجاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم حين أُخْبِر بذلك ، فجعل يمسح دموعها بيده الشريفة ، وجعلت صفية تزداد بكاءً ، وهو ينهاها ، فنزل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم بالناس ، فلما حان وقت الرواح قال النبي ، صلى الله عليه وسلم لزينب بنت جحش أم المؤمنين :

– " يازينب اقْفِرِي(٢) أختك جملاً " .

فقالت زينب بنت جحش ، رضي الله عنها :

– أنا أَقفِرُ يهوديتَكَ ؟ .

فغضب النبي ، صلى الله عليه وسلم فلم يكلمها مدةً طويلةً ، حتى ظنت أنه عليه الصلاة والسلام سيفارقها .

---

(١) بَرَكَ : أناخَ ، ولاتقال إلا للجمل .

(٢) اقفري : أعيري .

بعد وفاة النبي

وانزوت صفية ، رضي الله عنها بعد وفاة النبي ، صلى الله عليه وسلم حزينة كئيبة ، متعبدة لله عز وجل ، تحاول أن تساهم في إعلاء صَرْحِ الإسلام والمسلمين ، رَغْم الغِيرة التي نَهَشَت قلوب كثير من النساء منها ، فقد جاءت جارية من جواري صفية ، رضي الله عنها إلى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، رضي الله عنه ، فقالت :

– ياأمير المؤمنين إن صفية تحب السبت وتصِلُ(١) اليهود .

فبعث إليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يسألها فقالت :

– أمّا السبت فإني لم أحبُّهُ ، أبدلني الله به الجمعة ، وأما اليهود فإنَّ لي فيهم رحما(٢) فأنا أصلها .

ثم قالت للجارية : ماحملكِ على هذا ؟ .

فقالت الجارية : والله هو الشيطان ياأم المؤمنين .

فقالت لها صفية : اذهبي فأنت حرة .

---

(١) تصلُ اليهود : تزور أقاربها .

(٢) رحِما : أقارباً .

وفاتها

وهكذا عاشت السيدة صفية بنت حيي ، رضي الله عنها ، وفيةً ، مخلصةً لزوجها النبي ، صلى الله عليه وسلم ، الذي أحبها وآثرها وصدَّقها ، رغم أنها يهودية ، إلا أنها رضي الله عنها ، أسلمت فحسن إسلامها ، فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، والناس سواسية كأسنان المشط .

وعرفت السيدة صفية ذلك ، فهي قد نهلَتْ من مدرسة النبوة ، فأكبَّتْ تتعلمُ وتعلّم ، وتروي الحديث عن زوجها ، صلى الله عليه وسلم . إلى أن أسلمت روحها الطاهرة إلى الباري عز وجل سنة اثنين وخمسين للهجرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، ودُفِنت بالبقيع(١) إلى جانب أمهات المؤمنين .

رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) البقيع : مقبرة أهل المدينة .